

مصطفى أوزتورك | Mustafa Öztürk*
ترجمة: سهيل صابان | Suheil Saban**

دفتر "عوارض خانه الشام" عام 1086هـ/ 1675 - 1676م

Ottoman Census of Damascus in the Year 1086 Hijri (1675 - 1676)

هـذا النـص ترجمة لوثيقة عرفت بـ"دفتر عوارض خانة الشـام"، قدّم لها مصطفـى أوزتورك، وهي تتناول إحصـاءً عثمانيًا خاصًا بمدينة دمشـق، جرى عام 1086هـ/1675 - 1676م؛ وذلك بموجب السـجلّ الخاص به المحفوظ في الأرشـيف العثماني، ضمن السجلات الموسومة بـ "دفاتر التحرير".

لقـد عرّف أوزتورك بدفاتر التحرير المجمـل منها والمفصل، وخصائصها الاصطلاحية والإحصائية، والنهج الذي اتبعته الدولة العثمانية في تدوينها، ولا سـيما في القرنين السـادس عشر والسـابع عشر الميلاديين، وأهميتها التاريخية في توضيح ديموغرافية البلدان العثمانية، بما فيها البلدان العربية وعدد سـكانها الفعلي أو الاعتباريّ، ومسـاهمة تلك الإحصاءات في الاقتصاد العثماني من حيث تحديد مصادر الدخل، وكيفية تحصيلها من المواطنين.

وقد قدّم الإحصاء أرقامًا محددةً لمدينة دمشق بالنسبة إلى العام الذي جرت فيه؛ إذ أبانت أنّ عدد المنازل فيها بلغ عشرة آلاف منزل اعتباريّ، في حين وصل عدد سكانها - بحسب حسابات الباحث - إلى خمسين ألف نسمة. كما اشتمل الإحصاء على معلومات وافية بشـأن الإقطاع المتَّبع في ذلك العهد، ونماذج تطبيقية متعلّقة بأحياء مدينة دمشـق، مع ذكرٍ لأسمائها وأزقتها. وقد أورد أوزتورك عدّة جداول توضيحية متعلّقة بالإحصاءات الدمشـقية في أواخر القرن السـابع عشر الميلادي، مقارنًا إيّاها بسنوات أخرى.

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية، مدينة دمشق، الأرشيف العثماني، دفاتر التحرير.

This document presents a translation of "Records of a Syrian Household", with a Foreword by Mustafa Öztürk and which appeared in Turkish in 2004. "Records of a Syrian Household" investigates an Ottoman census of Damascus carried out in the year 1086 Hijri (1675 - 1676), which is recorded in the Ottoman archives and which provides a snapshot of the Syrian capital at a time when it had 10,000 households with an estimated total population of 50,000 individuals. Öztürk presents an overview of the registry books used for this household census, and looks closely at the survey features and the methodology used by the Ottoman state of the time. The historical significance of this document lies in the way it reflects an accurate picture of the demographic reality of the Ottoman realm, and in particular in its Arab regions. The text explored here also explores the economic significance of this census, which allowed for a more efficient and reliable tax collection. Öztürk also illustrates this document of economic and social history with a number of charts and tables.

Keywords: the Ottoman Empire, Damascus (City), Ottoman archive, Survey records.

* رئيس مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة الفرات - تركيا.
Director of the Middle Eastern Studies Research Center at Firat University, Turkey.
** أستاذ بقسم التاريخ، جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية.
Professor of History at King Saud University, Saudi Arabia.

تمهيد

الهدف من دراسة الإحصاءات القديمة، تقرير عناصر القوة البشرية والاقتصادية للدولة المعنية بالدراسة. وكان الاقتصاد الزراعي أهمّ عناصر القوة للدول التي لم يتطور الاقتصاد النقدي في شعوبها حتى العهد الصناعي. لهذا السبب، اهتمت الدول كلّها بهذا الموضوع، وأبرزت أهمية خاصةً به، وشكّلت مؤسسات متنوعةً ضمن تطورها التاريخي. وكانت أهمّ القضايا للدول عامّة في هذا العهد، كيفية إيجاد مصادر الاقتصاد، وتوجيهها ونقلها، وكذلك كيفية الاستيلاء عليها ووضع يدها عليها.

إنّ هذه الحاجة الاقتصادية والبشرية وضرورتها، دفعت الدولة العثمانية أيضًا إلى اعتماد تقليد الإحصاء وتطبيقه. بل إنه بالنظر إلى أنّ "التحريرات" العثمانية انتقلت - ضمن الآثار النادرة - من عهودها إلى الوقت الراهن، فإنّ لها قيمةً من منظور التاريخ الحضاري للعالم؛ إذ من النادر أن نرى سجلات الإحصاء للدول الأخرى في تلك العهود، بمثل ما نراها للدولة العثمانية من حيث الإعداد والتنظيم. فالتحريرات العثمانية كان يجري إعدادها، كما يلي:

- بعد أعمال الفتح لأراضٍ جديدة مباشرةً.
- إذا مرّت فترة تراوح ما بين 30 و40 سنةً على تلك الأراضي.
- تولّي السلاطين سدّة الحكم، إذا اقتضى الأمر ذلك.
- استرداد منطقة ما سبق أن فقدتها الدولة العثمانية.

ونطلق على تحريرات هذا العهد الأول، التحريرات الكلاسيكية التي تمتد طوال القرن السادس عشر الميلادي. وكان يجري تدوين المصادر الاقتصادية والبشرية لكلّ السنجق[1] الذي أُعدّ إحصاؤه. فهذا الإحصاء الأول المبني على التدوين فقط يطلق عليه "دفتر التحرير المفصل". وأساس هذا التحرير مبني على إحصاء "خانه" (المنازل)، وليس فيه توجيه[2]. وكان يجري في هذه السجلّات تدوين الإحصاء السكاني والواردات والمقاطعات[3] بحسب المدن والقرى والمزارع في السنجق، بمعنى تسجيل كلّ من الوجود البشري والاقتصادي. أمّا الأوقاف الموجودة في السنجق فكانت تُدوّن في نهاية السجلّ. وكانت أوقاف بعض المدن الكبيرة (مثل إسطنبول، وبورصة، وأدرنة، وحلب، والشام، والقدس) تدوَّن في دفاتر مستقلة، يُطلق عليها "دفتر تحرير الأوقاف". وأمّا ملخص "دفاتر المفصل" الذي كان يقدم للسلطان على نحوٍ مختصر، فكان يطلق عليه "دفتر الإجمال". والأساس الذي ينبني عليه دفتر الإجمال هو "دِرلك"[4]. وقد جرت على دفاتر الإجمال كلّ أنواع التوجيهات (التعيينات)[5].

---

1 السنجق: العَلم واللواء الخاص بالدولة، ثمّ خُصّ بالدلالة على اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي أو الأمير، تعبيرًا عن ثقته بأنه أهل للحكم، ثمّ تطورت الدلالة فأصبحت قسمًا إداريًا من أقسام الدولة، وحلّت محلّها أخيرًا الكلمة العربية "لواء" للدلالة على المعنى نفسه. وفي بداية نشأة الدولة العثمانية كان السنجق الوحدة الإدارية الأساسية؛ إذ انقسمت الدولة إلى عدد من السناجق، على رأس كل منها "سنجق بكي"؛ أي أمير اللواء. ولكن عندما اتسعت رقعة الدولة وكثُر عدد الألوية، عمدت الدولة إلى جمع هذه الألوية في ولاية واحدة. ومع ذلك فقد خلت بعض الولايات الكبيرة من مثل هذه التقسيمات، من بينها مصر واليمن، انظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000)، ص 136 [المترجم].

2 توجيه: الكلمة مأخوذة من اللغة العربية، وهي تعبير عن التوظيف؛ أي التعيين في وظيفة [المترجم]، انظر:
Mehmet Zeki, *Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sozlugu*, vol. 3 (Istanbul: MEB, 1993), pp. 480 - 481.

3 المقاطعة: مصطلح خاص استُخدم للتعبير عن منح أو استثمارات تابعة للخزينة إلى الغير؛ من خلال الالتزام، وقد كان على ضربين: المقاطعة الميرية (أي الحكومية)، ومقاطعة المُلك. فالمقاطعات الميرية كانت تُوزَّع كلّ سنة، أو سنتين، أو ثلاث سنوات، مرةً واحدةً. أمّا مقاطعات الملك فكانت تُمنح مدى الحياة، انظر: صابان، ص 213 [المترجم].

4 يظهر أنّ أصل كلمة "درلك" مأخوذ من الإحياء؛ لأنها تطلق على المخصصات المالية أو الرواتب التي تُدفع إلى أصحابها، كأنها تُحييه، مثل: العلوفة، والمشاهرة، والساليانة، أو الرواتب اليومية والشهرية والسنوية، أو المخصصات من قبيل "تيمار" و"زعامت" و"خاص". غير أنّ الكلمة أصبحت علمًا دالًا على أراضي زعامت وتيمار وخاص. المرجع نفسه، ص 111 [المترجم].
التيمار: كلّ أرض تُمنح لشخص أو أكثر مشتركًا بشروط خاصة مقابل وظيفة معينة، وتقلّ وارداتها السنوية عن عشرين ألف آقجة. وكان يُسمى في الفترة التي سبقت الحكم العثماني "نظام الإقطاع". وقد انقسمت أراضي الإقطاع في الدولة العثمانية إلى ثلاثة: تيمار، وزعامت، وخاص. وأُلغي نظام التيمار في الدولة العثمانية رسميًا عام 1831م. المرجع نفسه، ص 76 [المترجم].

5 التعيينات: قُصد بها في هذا السياق توجيه الوظائف، ويطلق أصل هذه الكلمة لدى العثمانيين على المخصصات العينيّة التي تُدفع للعساكر من غلال وتموينات [المترجم]، انظر:
Zeki, vol. 3, p. 426.

يُطلق على دفتر التحرير الأول "الدفتر العتيق"، وعلى دفتر التحرير الثاني "الدفتر الجديد". فإذا جرى تحرير ثالث، أُطلق على الدفتر العتيق في هذه الحالة "دفتر عتيق القديم"، وعلى الدفتر الجديد "الدفتر العتيق"، ويصبح دفتر الإحصاء الأخير في هذه الحالة هو "الدفتر الجديد".

لقد استمرّ هذا النهج في التحرير حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي. ونطلق على هذه الطريقة العهد الكلاسيكي. وبدءًا من القرن السابع عشر الميلادي، تُرك هذا النهج. وقد أخطأ بعض المؤرخين لمّا ظنوا أنّ الدولة العثمانية تركت التقليد المتّبع في التحرير. وفي الحقيقة، إنّ الأمر الذي تُرك هو تقليد التحرير الكلاسيكي الذي تحدثنا عنه، وليس ترك التحرير برمته. فقد انتهجت الدولة نهجًا جديدًا في إجراء التحرير مع القرن السابع عشر الميلادي. وبموجب هذه الطريقة الجديدة صار يتمّ إعداد دفتر مستقلّ بشأن كلّ مصدر (من مصادر الدخل) الوارد على نحوٍ كامل في دفاتر العهد الكلاسيكي، وصار لكلّ مصدر مكتب خاص به في المركز (العاصمة). وهذا التغيير في التقليد السائد للتحرير، يبينه الجدول الآتي:

الجدول (1)
تغيير تقليد التحرير

المعلومات الواردة في دفتر التحرير الكلاسيكي	دفاتر تقليد التحرير الجديد
السكان/ المنازل	دفاتر عوارض المنازل
المقاطعات	دفاتر المقاطعات
الجزية	الجزية، دفاتر حسابات الجزية
الأوقاف	تحرير الأوقاف، دفاتر تفتيش الأوقاف
التيمارات	توجيه التيمار، دفاتر تفتيش، دفاتر تفتيش السكان، دفاتر حسابات الولايات، دفاتر تحرير الأملاك والسكان، دفاتر التمتعات (الأرباح)، دفاتر الواردات والمصروفات، السالنامات

وبناءً على ما سبق، فإنّ الموظفين باتوا يدوّنون كلّ شيء صالح للتحرير بحسب الزمان والمكان[6].

إنّ الدفتر الذي قمنا بدراسته في هذا العمل هو دفتر "عوارض[7]/ خانه" (عوارض/ المنزل) الشام، المختلف تمامًا عن دفاتر التحرير المتّبع. ومن الجدير بالذكر أنّ المقصود بمنزل العوارض، ليس منزلًا حقيقيًّا؛ بل هو منزل مالي/ اعتباري للسكان، بحسب وضعه الاقتصادي والاجتماعي. ولذلك، لا يمكن استخدامه في الإحصاءات السكانية على نحوٍ مستقلّ ما لم يُعلم عدد السكان الفعليين فيه علمًا قطعيًّا. فقد أكّد هذا الدفتر الذي يعود إلى عام 1086هـ، والذي قمنا بدراسته، أنّ خمسة منازل حقيقية عُدّت منزلًا اعتباريًّا واحدًا للعوارض.

كيفية تنظيم الدفتر

سوف نقوم في هذا الدفتر بدراسة أحياء الشام، ومن ثمّ التوزيع السكاني لها. أمّا المصدر الأساسي لهذه الدراسة، فهو دفتر العوارض المحفوظ في الأرشيف العثماني بإسطنبول[8].

6 Mustafa Ozturk, "1616 Tarihli Halep Avariz-hane Defteri," Ankara universitesi, *Osmanli Tarihi Arastirma ve uygulama*, vol. 8 (1999), pp. 249 - 252.

7 عوارض: إحدى الضرائب العثمانية والرسوم العرفية، وكان اسمها "عوارض ديوانية"، وهي الضريبة المالية والعينية والبدنية المفروضة على المجتمع في الحالات الطارئة، ثم استمر وجودها؛ إذ تحولت في القرن السادس عشر الميلادي إلى ضريبة مادية معينة، عُرفت بـ "آقجة العوارض"، فألغيت بذلك الالتزامات العينية والبدنية. ومع التنظيمات العثمانية ألغي هذا النوع من الضرائب، انظر: صابان، ص 156 [المترجم].

8 الأرشيف العثماني، بتصنيف:
Kamil Kepeci, Mevkufat, no. 2664.

يتكون الدفتر من 29 صفحةً. ويبدأ بعبارة "دفتر عوارض منازل أحياء الشام نفسها بموجب دفتر التحرير الجديد الواقع في سنة 1086هـ، المُعد من المباشر الجديد السيد مصطفى أفندي، المولَّى خليفةً عليه". وبعده مباشرةً يأتي ذكر أحياء دمشق بعنوان: محالّ الشام الشريف نفسه. ولا يوجد دفتر آخر من دفاتر عوارض/ خانه الشام للقرن السابع عشر غير هذا. وبناءً عليه، فإنّ لهذا الدفتر أهميةً خاصةً.

انقسمت الأحياء كلّها إلى أزقة، وتوجد عبارات توضيحية عن تبعية كلّ زقاق من حيث الإقطاع، تبين وضع الزقاق. وفي الأسفل منها دُوّنت بالخط الديواني والأرقام العربية أعداد منازل العوارض في كلّ زقاق. وبناءً على الفرمان الصادر في 30 رمضان 1110 للهجرة (1 نيسان/ أبريل 1699م) المقيد في هامش الدفتر، بلغ عدد المنازل في دمشق 1097.5 منزلًا. وبناءً على العملية التي جرت في ما بعد، في 14 شعبان 1111 للهجرة (4 كانون الثاني/ يناير 1700م)، عُدَّت تلك المنازل كلّها من منازل العوارض الخربة ومنازل الأئمة[9]، وأُسقطت من المجموع العامّ؛ أي إنّ الدفتر تعرض لعملية أخرى في ما بعد.

وبعد الانتهاء من تدوين أسماء الأزقة، دُوّنت منازل العوارض للحارة (الحي) بوجهٍ عامّ، كما سُجِّل مجموع المنازل فيها، ثمّ المجموع العامّ. وفي نهاية الدفتر قُيِّدت جماعات التركمان على نحوٍ مستقلّ. وهي جماعات: زنكار، وقزِق، وقره جه قيونلي. وسُجِّلت بعد ذلك جماعات النصارى واليهود. وقد وُجد سكان مسلمون في أحياء النصارى واليهود. وفي النهاية، جرى تدوين المقاطعات، والمتصرفين فيها، والأحياء، والأزقة والمتصرفين فيها أيضًا.

الأحياء

من الجدير ذكره، قبل الانتقال إلى المعلومات الخاصة بالقرن السابع عشر الميلادي، تقديم معلومات عن القرن السادس عشر الميلادي. وأكثر من توسّع في دراسة هذا العهد هو محمد عدنان البخيت[10] الذي استخدم دفاتر تحرير الشام ذات الأرقام 401، 263، و474. فذكر أنّ دمشق في ذلك الزمان كانت مقسمةً إلى أحياء وأزقة[11]. إلا أنه لم يذكر أسماء الأحياء والأزقة. وقد اختلفت الأحياء في هذا العهد ما بين 36 و39 حيًّا، وبموجب دفتر التحرير رقم 401 المحدّد تاريخه بعهد السلطان سليمان القانوني (ونحن نرى أنه يقابل المرحلة الأولى من عهده، وهو أوّل تحرير لمنطقة الشام الذي جرى خلال الفترة 1523 - 1524م).

الجدول (2)

تحرير منطقة الشام في السنوات 1523 - 1570م[12]

	المسلمون		النصارى		اليهود	
السنة	عدد المنازل	عدد المجرد	عدد المنازل	عدد المجرد	عدد المنازل	عدد المجرد
1523 - 1524م	7213	358	546	31	519	12
1548م	8119	393	704	96	516	-
1569 - 1570م	7054	322	1021	164	546	56

9 منازل الأئمة: أي أئمة المساجد، ومؤذنوها والعاملون في الأوقاف، وقد كانوا مُستثنَون من ضريبة العوارض. ومثلهم رجال الدين النصارى واليهود أيضًا. ولذلك، فإنّهم لم يُحسبوا في المجموع العام.

10 Muhammad Adnan Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus in The Sixteenth Century* (Beyrut: Librairie du Liban, 1982).

11 Ibid., p. 49.

12 Ibid.

في هذا العهد أيضًا، ثبت وجود 92 شريفًا و4 أشخاص عاطلين عن العمل. وكان التركمان والأكراد يعيشون في أزقة خاصة بهم في دمشق. وكان عدد منازل الأكراد 9 منازل، وعدد منازل التركمان 24 منزلًا ومجردين (عازبين)[13]. وكما يتضح من الدفتر الذي بين أيدينا، كان للأكراد وجود في الشام في ذلك العهد. ولعلهم ذابوا في المجتمع؛ لأنّ عدد منازلهم كان قليلًا، فهي لم تبلغ إلّا تسعة منازل.

كان عدد المنازل في دمشق بين في الفترة 1569 - 1570م نحو 8701 من المنازل و542 عازبًا. وبموجب هذا الإحصاء، إذا ضربنا المنزل الواحد في خمسة، نكون إزاء العملية الحسابية الآتية: 8701×5=542+43505=44047 نسمةً. ولو أُضيف إلى هذا العدد الجند والمرتزقة وأهل الأدعية، ورجال الدين النصارى واليهود، والأرامل والأيتام وكبار السن (نرى أنّ عددهم، على سبيل التخمين، ستة آلاف نسمة)، يصبح المجموع خمسين ألف نسمة تقريبًا.

كان المنظر العامّ لدمشق في أوائل القرن السابع عشر الميلادي: أنها تتكون من 19 حيًّا، وقد تمّ إدراج أسمائها مع أسماء أزقتها وعدد منازلها وعزابها في الجدول (4). وعلى الرغم من أنّ الأحياء التي كانت تعيش فيها جماعات التركمان واليهود لم تُدوّن باسم الحي، فإنّه يمكننا تخصيص حيّ لكلّ من الطائفتين. وبناءً على ذلك يصبح عدد الأحياء 21 حيًّا. وهي: الكبيبات، والميدان، وباب المصلى، والقبر العتيق، وباب السريجة، والسويقة المحروقة، وجامع الحشر، وسوق السريجة، والعقبة الكبرى، والفرابين، وشاغور البراني، وشاغور الجواني، والخراب، والقمرية، ونور الدين الشهيد، وباب الجابية، وصالحية الشام الشريف، والنصارى، والباب الشرقي. أمّا طائفة التركمان، فقد تكونت من جماعات: زنكار، قزق وقره جه قيونلي، وعدد منازلها 55 منزلًا. وأمّا طائفة اليهود، فقد قُسمت إلى القرابين والإفرنج والمستغرب.

ومع أن أوليا جلبي تحدث عن جوامع دمشق ومساجدها وأسواقها ومطابخها حديثًا تفصيليًّا، فإنه لم يذكر أحياءها. وقد بلغ عدد الأزقة في دمشق 289 زقاقًا. وكان بعض الأحياء كبيرًا جدًا. فعلى سبيل المثال كان حيّ الكبيبات يتكون من 28 زقاقًا، وبلغ عدد سكانه 1070 شخصًا. كما وجدت بعض الأحياء الصغيرة التي تكونت من ثلاثة أزقة، مثل جامع الحشر الذي لم يتجاوز عدد سكانه ثلاثةً وثلاثين شخصًا. وبناءً على ذلك فليس هناك تناسب صحيح بين عدد الأزقة والسكان. ومع زيادة في عدد السكان كان هناك عدد قليل من الأزقة. فعلى سبيل المثال: تكوّن حيّ القبر العتيق من عشرين زقاقًا وكان عدد منازله ثلاثمئة وسبعة وسبعين منزلًا. في حين تكوّن حيّ سوق السريجة من خمسة عشر زقاقًا وكان عدد منازله أربعمئة وأربعين منزلًا. ومثل ذلك باب الجابية الذي تكون من سبعة أزقّة وثلاثمئة وأربعة وسبعين منزلًا، في حين أنّ حيّ الفرابين تكوّن من عشرين زقاقًا وثلاثمئة وتسعة وأربعين منزلًا.

أمّا حيّ النصارى، فقد تكون من تسعة عشر زقاقًا، وهو الحي الذي عاش فيه المسلم وغير المسلم. وكان عدد المسلمين فيه ثلاثمئة وست عشرة نسمةً. في حين بلغ عدد النصارى ستمئة وأربعة أشخاص. غير أنّ السجلّ لم يُشر إلى مذاهب هؤلاء النصارى وأصولهم الإثنية. كما أنّ حيّ الباب الشرقي من الأحياء المختلطة التي كان يعيش فيها المسلم وغير المسلم. فهذا الحي الذي تكون من ثلاثة أزقة، بلغ عدد المسلمين فيه مئة واثني عشر شخصًا، في حين بلغ عدد النصارى واحدًا وستين فردًا.

أمّا اليهود، فقد عاشوا في حيّ آخر مستقلّ؛ إذ بلغ عدد منازل يهود القرابين ثمانيةً وثلاثين منزلًا وعشرة منازل عوارض، في حين كان ليهود الإفرنج والمستغربين ثلاثمئة واثنان وأربعون منزلًا و88.5 منزل عوارض. وبناءً على هذا الحساب عدّت 3.86 من المنازل حقيقيةً لليهود مساويةً لمنزل عوارض واحد. في حين أنّ خمسة منازل حقيقية للمسلمين كانت تساوي منزل عوارض واحدًا فقط، كما أشير إلى ذلك من قبلُ. وفي هذا السياق، يمكن القول إنّ اليهود حُمِّلوا ضرائب أكثر من المسلمين. أمّا ما يتعلق بالنصارى، فبناءً على أنّ

13 Ibid., p. 50.

السجلّ ذكر مجموع عدد المسلمين والنصارى في حيّ النصارى، لم نقدر على الفصل في العدد الحقيقي للنصارى وتوضيحه. ولكن يمكننا القول في الوقت نفسه إنّ ما كان جاريًا على اليهود (في دفع الضرائب) كان يجري أيضًا على النصارى.

عدد السكان

ذكر الدفتر عدد السكان بالأفراد. فكلّ فرد عُرّف بأنه المستعد للحرب والضرب، والقادر على الربح والكسب، التابع للضريبة، الذكر المتزوج. ومنزل العوارض رقم اعتباري (وليس حقيقيًا). وكما يتضح من خلال هذا السياق وممّا ذُكر من قبل، فإنّ منزلًا واحدًا للعوارض تقابله خمسة منازل حقيقية. وبموجب ذلك، يُتبيّن عدد السكان الحقيقي.

الجدول (3)

عدد سكان دمشق العامّ (عدد المنازل)

	المسلمون	النصارى	اليهود	المجموع
الأحياء كلّها	8.433			
جماعات التركمان	55			
في حيّ النصارى	316	604		
في حيّ الباب الشرقي	112	61		
في حيّ اليهود	17		380	
المجموع العام	8.933	655	380	9.978

بناءً على هذا الجدول، فإنّ عدد سكان دمشق في أواخر القرن السابع عشر الميلادي بلغ نحو 9.978؛ أي قرابة عشرة آلاف منزل. وبعد طرح المُستثنَون من منزل العوارض يبقى الرقم 1.500 منزل. ولو ضرب ذلك في خمسة بحسب المُتّبع في حساب عدد السكان، فإنّ المجموع يبلغ خمسين ألف نسمة، على أنه يوجد عدد من السكان لم يدخل في هذا الحساب. فقد عُدَّ مئتان وخمسة عشر منزلًا خربًا، كما أنّ عدد منازل الأئمة بلغ ثلاثمئة وأربعةً وعشرين منزلًا ونيفًا.

وبناءً على ذلك، فإنّ المنازل الخربة[14] ومنازل الأئمة يبلغ عددها وحدها خمسمئة وتسعة وثلاثين منزلًا ونيفًا؛ أي نحو خمسمئة وأربعين منزلًا. فيكون مجموع تلك المنازل ألفين وخمسمئة نسمة. وإذا أضيف إليها الجند والمرتزقة والأشراف، ورجال الدين اليهود والنصارى، والأرامل والأيتام، وأهل الأدعية، وطلاب المدارس وغيرهم من المُستثنَون من الضرائب (وهم على وجه التقريب سبعة آلاف وخمسمئة شخص)، يمكن القول، تخمينًا، إنّ عدد السكان في دمشق يبلغ ستين ألف نسمة. ولقد سبق أن رأينا أنّ عدد السكان في دمشق في القرن السادس عشر الميلادي، على سبيل التخمين، خمسون ألف نسمة. وهذه الزيادة، مدّة قرن من الزمان، تعدُّ طبيعية، وهذا الرقم في أواخر القرن السابع عشر الميلادي في ما يخص دمشق يُعدّ معقولًا. لكن يجب التنبيه إلى أنّ هذا الرقم هو العدد

14 المنازل الخربة: التالفة، وقد عُدّت تلك المنازل في السابق "منازل"، لكنها أصبحت خالية من أهلها في ما بعد وهُجرت، فصارت تُسمّى "المنازل الخربة"؛ ولذلك أُسقطت من الضرائب.

المقيم في دمشق في ذلك التاريخ موضوع الدراسة. ولمكانة دمشق الجغرافي والتجاري والديني، فقد كان يتوجه إليها عدد يُعتدُّ به من الزوار؛ إذ من الممكن وجود التجار بها من كلّ الشعوب، وكذلك الحجاج من كلّ الأديان.

ولو أجرينا عمليةَ حسابٍ رياضية في ما يخصّ المنازل فقط، لتبين لنا أنّ دمشق بلد إسلامي بمعنى الكلمة. فمن مجموع 9.978 منزلًا، كان 665 منزلًا؛ أي 6.66% للنصارى، و380 منزلًا؛ أي 3.80% لليهود. وبموجب هذا الحساب، فإنّ نسبة غير المسلمين 10.46%. أمّا الباقي، فهو: 9.833 منزلًا؛ أي إنّ 89.54% من السكان مسلمون. ولو أُضيف إلى هذا الرقم المُستثنَون من الضرائب، فإنّ عدد المسلمين سيزيد.

المقاطعات (الإقطاع)[15]

يختلف توجيه الإقطاعات عن العهد الكلاسيكي؛ ذلك أنّها لم تُوجّه بحسب المهنة، وإنما بحسب الأحياء والأزقة، وجرى تقسيمها وتوجيهها على هذا الأساس. كما لم يوضح السجلّ مصادر تلك المقاطعات، ولا وارداتها السنوية، لكنه ذكر لمن وجّه إليه الإقطاع، وفي أيّ حيّ، وفي أيّ زقاق.

وبموجب ذلك، فإنّ إقطاعات دمشق المركزية كانت تشغّل من بني سعد الله، وأولاد بكر، وصادق آغا بن ناشف، والشيخ عبد الرحمن الموصلي. فبنو سعد الله كانوا متصرفين في تشغيل إقطاع ثمانية وخمسين منزلًا في خمسة عشر زقاقًا بحيّ الكبيبات. أمّا أولاد بكر، فكانوا يديرون إقطاع واحد وعشرين منزلًا في أحد عشر زقاقًا بحيّ الكبيبات، وسوق السريجة، وشاغور الجواني، والقمرية، ونور الدين الشهيد، وباب الجابية، وحيّ النصارى. وقد كان صادق آغا بن ناشف متصرفًا في تشغيل إقطاع ثمانية وعشرين منزلًا في سبعة أزقة بحي السويقة المحروقة، والخراب، والصالحية. وأخيرًا، كان الشيخ عبد الرحمن الموصلي يشغل إقطاع ثمانية عشر منزلًا في خمسة أزقة في حيّ الكبيبات والميدان.

كانت الإقطاعات تشكّل أساس الحركة الاقتصادية في المدينة ومركزها، كما كانت مصدرًا مهمًّا للواردات. والحقيقة أنّ تشغيل تلك الإقطاعات ذات الواردات المهمّة من أربع أُسر فقط، لافتٌ للنظر. ومع عدم وجود توضيحات لهذا التساؤل في السجلّ الذي هو قيد الدراسة، نعتقد أنّ توجيه تلك الإقطاعات جرى بحسب "مالكانة" (أي لعدّة سنوات).

ويبين توزيعُ الإقطاعات إقطاعاتِ دمشق، ومن ثمّ توزيع المؤسسات الصناعية فيه. وبناءً عليه، فإنّ تشغيل المؤسسات التي كانت تُؤخذ عليها رسوم الاحتسابية[16]، وباج[17]، وبازار (السوق)، والدمغة، والمدبغة، والقصاب، وباش خانه، ودار الضرب، والخانات (الفنادق)، والحمّامات، والورش، وغيرها[18] التي تشكل، أساسًا، للإقطاعات، قد وُزعت في أحياء الكبيبات، وسوق السريجة، والقمرية، والسويقة المحروقة، والخراب، والصالحية، ونور الدين الشهيد، وباب الجابية، والشغور الجواني، والميدان وحيّ النصارى[19].

---

15 تجدر الإشارة إلى أنّ تشغيل المقاطعات كان يجري بإحدى طريقتين: الأولى "أمانة"، وهي المقاطعات المهمّة ذات الأهمية الإستراتيجية والدخل الكبير؛ إذ كان يتمّ تعيين أحد الحائزين على رتبة الوزارة من الدولة، وكان يطلق عليه "الأمين". ومن أمثلتها إقطاعات جمارك الشام وحلب ومعدن كبان وكمشخانه. أمّا الثانية، فهي "الالتزام"؛ إذ كان يتمّ توجيهها من خلال تنافس طلّابها. فمن دَفع أكثر من غيره، وُجِّهت إليه. وكان يُدفع نصف بدل الالتزام مقدّمًا، ويسمّى "المعجّلة". أمّا النصف الثاني، فكان يُدفع في قسطين اثنين، ويسمى "المؤجلة"، مثل واردات مدينة الشام.

16 رسم الاحتساب: نوع من الضرائب، مأخوذ من المحاسبة، وهي محاسبة الشخص على فعل أو عمل منافٍ للرأي العامّ. وكان هذا الرسم يؤخذ أيضًا على الموازين والمكاييل في الأسواق، انظر: صابان، ص 26 [المترجم].

17 "باج": كلمة فارسية مستخدمة في اللغة التركية (العثمانية)، ومعناها رسوم المبيعات والرسوم المدفوعة أو الهدايا المقدّمة من أفراد الشعب إلى الحاكم. المرجع نفسه، ص 50 [المترجم].

18 كلّ تلك الرسوم المتنوعة كان يتمّ تحصيلها من الدولة بحسب مهنة صاحبها والمقدار المحدّد لتحصيلها [المترجم].

19 على الرغم من عدم تمكننا من تقرير وضع دمشق الحالي، فإننا نعتقد أنّ ذلك التقليد التاريخي لتلك المهن مازال مستمرًا حتى الوقت الراهن.



الجدول (4)

أحياء الشام وأزقتها ومنازل العوارض فيها

اسم الحي	الزقاق	الرعايا	منازل العوارض
الكبيبات	شارع القيصرية	50	10
	المساع	23	9
	الوسطاني	48	9.25
	اليجع التابع الوسطاني	25	5
	الكامل	21	4.25
	الرصاص	30	6
	حمام التوتة	22	4.5
	التغيير	34	9.75
	عسعسي	30	6
	شارع الدرب	119	24
	شارع العتيقة المصري	18	3.75
	بين الحاكم	35	7
	بين السوق	25	5
	الحديث	29	5.75
	القاع	43	8.75
	شيخ عمر الحمصاني	47	9.5
	سلمان	35	7
	قبة الطويل	28	5.75
	لطفي	32	9.5
	الحاج أبو بكر بن ملوك تابع العتيقة	24	4.75
	ابن سلطان	28	5.75
	البلوط تابع الكلاب	27	5.5
	ابن عجاج	63	12.75

اسم الحي	الزقاق	الرعايا	منازل العوارض
	حكير تابع الكلاب	30	6
	ابن الجفاز	12	2.25
	دوغانجي	56	11.25
	الشيخ يعقوب	75	15
	المحل الجديد	61	12.25
	المجموع	1070	225.25
الميدان	القبلي	20	4
	الطالع الجديد	28	5.5
	أبو البقاع	16	3.25
	المساء	56	11.5
	الزيبق	44	9
	جامع المنجيك	18	3.75
	علاقين	29	6
	القبة البيضاء	92	18.5
	العسكري	38	9
	الطيوني	23	9
	الدفروج	32	6
	الكياس	11	2.25
	جقور	43	8.75
	الميدان الشمالي	94	19
	حكيرة الموصلي	44	8.75
	حمام فاطمة	2	0.25
	حكيرة جامع المنجيك	30	6
	الجكلية	7	1.25
	حقلة عيسى	24	4.5

اسم الحي	الزقاق	الرعايا	منازل العوارض
	الجديد الآخر	33	9.5
	الجوزة	32	9.5
	المجموع	716	155.25
باب المصلى	جوبانية	25	5
	جكلية، أو التسمية الأخرى قملة	16	4
	القبة الحمراء	18	3.75
	البقرة، أو الاسم الآخر البقارين	64	13
	البيوسي (؟)	11	25.2
	الوسطاني	76	15.25
	الحلبية	36	7.25
	المآسي	24	5
	الأربعين	10	2
	المدرسة	15	3
	الجواني	72	14.5
	المنهر	30	6
	شارع المصلى	20	4
	سيد ركاب	22	4.5
	المجموع	439	89.5
القبر العتيق	نصر البراني	8	1.75
	المبيضين	10	2
	العجمي	8	1.75
	الفاخورة	20	4
	الخيوطية، أو الاسم الآخر شمين	32	9.75
	الطرزي	12	2.5

اسم الحي	الزقاق	الرعايا	منازل العوارض
	باجو	13	2.5
	رستم	31	6.25
	الرباط	18	3.75
	الجمالي	6	1.25
	الكامل	15	3
	الأطرش	6	1.25
	آخي درويش	18	3.75
	طالع الجمعة	29	6
	الدكاكين	30	6
	جامع البروزي	19	4
	العبسية	45	9.25
	القصاصين	6	1.25
	الدويدية	23	4.75
	الشيلي	28	5.5
	المجموع	377	80
باب السريجة	الثابتية	28	5.75
	الحواريين	47	9.5
	إسكندر	16	3.25
	الخطيب	26	5.25
	البئر	18	3.5
	الوسطاني	55	11
	الجواميس	33	9.5
	المجموع	223	47.75
السويقة المحروقة	باب النصر	24	4.5
	الكليسلة	43	8.5



اسم الحي	الزقاق	الرعايا	منازل العوارض
	المخازن	23	4.5
	كنعان	25	5
	قصر الحجاج	47	9.5
	خان السلطان	33	6.5
	البركة	55	11
	البريدي	56	11.25
	باعدين	129	26
	قنوات	93	15.5
	خارج باب الجادية	75	15
	المجموع	603	117.25
جامع الحشر	جامع الحشر	10	2
	الحجيلي	2	0.25
	تابع زقاق الحشر	21	4.25
	المجموع	33	6.5
سوق السريجة	الحاصودية	63	10.5
	البحصة	18	3.75
	الأحمدية	29	5
	تحت القلعة	4	0.75
	جالق	38	7.75
	سوق السريجة نفسه	40	8
	حمام الورد	43	8.75
	الجوزة	30	6
	العبيد	33	6.25
	عرجون شاه	19	3.5
	قره جاوش	54	11

اسم الحي	الزقاق	الرعايا	منازل العوارض
	عين علي	40	8
	سودون	10	2
	النحاسين قرب تحت القلعة	10	2
	الشامية	9	1.75
	المجموع	440	85
العقبة الكبرى	جتنفين	25	5
	الصوافين	13	2.75
	لَّحل الجديد	80	16
	بين الصابرين	28	5.75
	الأعجم	58	11.75
	الدميجي	59	12
	العقبة	77	15.5
	معمشة	13	2.75
	المصرية	15	3
	شارع الوقائع	12	2.25
	الزيتونة	6	1.25
	شارع العقبة	49	10
	أندر	14	2.75
	ناربية	9	1.75
	الحجة	6	1.25
	الجسر الجديد قرب السراجية	8	1.75
	المحتسب	19	3.75
	العيارين	6	1.25
	القدسي	11	2.25

اسم الحي	الزقاق	الرعايا	منازل العوارض
	إستنباطي، أو بالاسم الآخر الغاط	0	00
	المجموع	508	102.75
الفرابين	شارع العليين	17	3.25
	العقبة الصغرى	26	5.26
	الستاكرية	15	3
	البيرون	35	7
	العداس	8	1.75
	الفرابين نفسه	63	6.75
	الزنوكية	9	1.75
	المهدبية	9	1.75
	حكر النفناع	28	5.75
	حكر كمال الدين	53	10.75
	فاطمة الفلك، أو بالاسم الآخر بستان وزير	1	0.25
	جلالي إلى باب السلام	2	1.5
	المبلط تابع الجلالي	6	1.25
	جامع المنجيك	3	0.5
	سويقة القاضي	7	1.25
	بكسامرية	8	1.75
	عين الورقة	15	3.25
	الدباغين	50	3.5
	الفرايين	23	4.75
	الشنان	1	0.25
	المجموع	379	65.25

اسم الحي	الزقاق	الرعايا	منازل العوارض
شارع البراني	الخندق	35	7
	الجوزة	103	20.75
	النطاع	38	7.75
	الفراونج (ليس فيه رعايا)		
	الحكر	39	7.75
	الغرباء	18	3.75
	المعصرة	24	4.75
	الشعارين	26	5.25
	الجبالية	34	6.75
	المجموع	317	63.75
شغور الجواني	بين السورين	7	1.25
	تكية الأمير عامر	47	9.25
	قصائين	13	2.75
	بني فرالك	9	1.75
	زلاقة	21	4.25
	شارع الشنباصية	27	5.25
	حناكة	11	2.25
	شماعين	9	1.75
	دكاكين	22	4.5
	أبو السعود	7	1.25
	مدينة الشيخان	10	2
	حمام الناصري	13	2.75
	الشيخ عبد الله السليمي	8	1.75
	المجموع	207	40.75
الخراب	طلعة الحماوي	50	3.25
	طلعة المغاربة	17	3.25

اسم الحي	الزقاق	الرعايا	منازل العوارض
	الحبوبي	30	6
	الذات مع بستان الكوت	19	3.75
	الدرويش	19	3.75
	البواري	16	3.25
	عبد الوهاب	26	5.25
	الغشب	25	5
	طلعة الشام	18	3.75
	طلعة الخراب مع حلبيين	137	27.5
	شارع معدنية الشهام	53	10.75
	الغيش	14	2.75
	المجموع	424	85
القمرية	الطواشي	80	16
	ساحة تلة الحوارين	85	17
	سيد تاج الدين	36	7.25
	الشيخ أرسلان	53	10.75
	الذبلية	61	12.25
	الشيخ عبد الله المنجلاني	36	7.25
	شارع القمرية	52	10.5
	الشيخ إسماعيل	45	9
	جيناق	73	14.75
	جامع الأحمر	37	7.25
	تلة القمرية	50	10
	السيدة ربيعة	85	17
	عيسى القرين	66	13.25
	عياد	31	6

اسم الحي	الزقاق	الرعايا	منازل العوارض
	داخل باب السلام	10	2
	المجموع	800	160.25
نور الدين الشهيد	النحاسين	22	4.25
	بين السورين	45	9
	سبع الطوالي	19	3.75
	هنود الصغير تابع باب الجيرون	47	9.5
	البدرائية	75	15
	بين المدارس	12	2.25
	كبيت العتيقية	57	11.5
	القوافي مع الحصار	73	12
	قجماسية ومدرسة العدروية	11	2
	باب القلعة ودار الحديث الأشرفية	26	5.25
	ربعة الشيخ شعيب	8	1.75
	الهناد	16	3.26
	باب الحضارة	13	2.75
	الدبيس	30	2.75
	مسجد العزي	21	3.75
	الحمراوي	30	6
	الشيخ سيف الدين	12	2.25
	نفس الشيخ سيف الدين	6	1.25
	العاش	7	1.25
	المجموع	530	102.76

اسم الحي	الزقاق	الرعايا	منازل العوارض
باب الجابية	حسن باشا	30	6
	المدرسة الخضرية داخل باب الجابية	30	6
	طاحون السجرة	17	3.25
	مطبخ السكر	28	5.75
	درب الوزير	25	5
	الشيخ عمود	32	6.25
	القصارين	212	4.25
	المجموع	374	36.5
صالحية الشام الشريف	الجسر الأبيض	37	7.5
	آغا سكي	101	20.5
	الشيخ شعيب المعروف، الشيخ أبو بكر العرودك	62	12.5
	بئر اللوزة	35	7
	الجاموس	71	14.25
	بئر الطوطع	65	13
	الأسد	34	9.5
	بيت رمضان	25	5
	حمام المقدم	105	21
	جمع السليمية قرب الشيخ محيي الدين بن عربي	178	35.75
	البساقة	1	0.25
	العقبة	48	9.75
	الشيخ أبي عمر	23	4.75
	الداودية	5	12
	الحناك	24	4.5

اسم الحي	الزقاق	الرعايا	منازل العوارض
	الملاحين	30	6
	جانم	14	2.5
	المقدم	91	18.25
	حمام العلاني	26	5.25
	الدرسي	18	3.75
	الخطاب	3	0.75
	المجموع	996	213.75

اسم الحي	الزقاق	الرعايا المسلمون	الرعايا النصارى	منازل العوارض
النصارى	الكنيسة	59	53	14
	القلقاسية	10	31	10
	لطف الله	12	76	22
	تلة لطف الله	5	64	17.5
	ماهر	8	55	15.5
	الفاسق	5	64	17.5
	الفروانة	16	49	15.75
	زيتون البراني	15	31	11.5
	موارنة	9	21	7.5
	مسبك البراني	37	28	14.5
	النبتون	32	27	13.25
	الراعي	18	18	7.75
	العبارة	3	15	4.5
	الزيتون الجواني	2	20	5.25
	بئر الجواني	2	20	5.25
	خارج الباب الشرقي	7	3	1.75
	الحنانية	43	14	12.25
	القصبة	17	26	10
	الجعبر	13	32	10
	المجموع	316	604	218

اسم الحي	الزقاق	الرعايا المسلمون	الرعايا النصارى	منازل العوارض
الباب الشرقي	سلاطين	33	14	7.25
	الزيتون الجواني تابع الكفرة	-	3	0.75
	الفروانة	11	11	5
	الباب الشرقي عند محلة الكفرة	4	-	1
	الماهر	1	-	0.25
	النبتين	1	-	0.25
	الراعي	9	-	1.75
	الفاسق	-	2	0.5
	المسبك البراني	-	6	1.5
	المسبك الجواني	35	15	10.75
	القصبة	3	1	1
	الجعبر	3	5	2
	الحنانية	12	4	3.25
	المجموع	112	61	35.25

الطائفة اليهودية	اليهود	عدد المنازل
يهود القرابين	38	10
يهود الإفرنج والمستغربين	342	88.5
المجموع	380	98.5

طوائف جماعة التركمان	عددها
تركمان زنكار	10
تركمان قزك	18
قره جه قيونلي	27
المجموع	55

المقاطعات	الأزقة	الحي التابع له	عدد المنازل
مسقفات بني سعد الله	القصير	الكبيبات	16
	الماء	الكبيبات	4
	اليجع	الكبيبات	1
	الرصاص	الكبيبات	1
	الباعر	الكبيبات	2
	حمام الطوطع	الكبيبات	2
	العسس	الكبيبات	14
	شارع الدرب	الكبيبات	8
	الخريشة	الكبيبات	2
	الشيخ عمر الحمصاني	الكبيبات	2
	الحاج أبو بكر بن الملوك	الكبيبات	1
	ابن عجاج	الكبيبات	1
	قبة الطويل	الكبيبات	2
	البلون	الكبيبات	1
	الميدان الشمالي	الميدان	1
	المجموع		58
مسقفات أولاد بكر	القصير	الكبيبات	4
	الماء	الكبيبات	1
	النصير	الكبيبات	1
	الوسطاني	الكبيبات	1
	عين علي	سوق السريجة	2
	حمام الناصري	شغور الجواني	1
	مقام الشيخ أرسلان	القمرية	3
	الزينبية	القمرية	3
	القوافي مع الحصار	نور الدين الشهيد	2
	درب الوزير	باب الجابية	2
	القصبة	النصارى	1
	المجموع		21

المقاطعات	الأزقة	الحي التابع له	عدد المنازل
صادق آغا بن ناشف	فقير الحجاج	السويقة المحروقة	20
	البريدي	السويقة المحروقة	1
	الكنيسة	السويقة المحروقة	1
	خارج باب الجابية	السويقة المحروقة	2
	عبد الوهاب	خراب	1
	السكة	الصالحية	1
	حمام المقدم	الصالحية	2
	المجموع		28
الشيخ عبد الرحمن الموصلي	العسس	الكبيبات	1
	القبة البيضاء	الميدان	2
	جقور	الميدان	8
	الميدان الشمالي	الميدان	4
	حكر الموصلي	الميدان	3
	المجموع		18



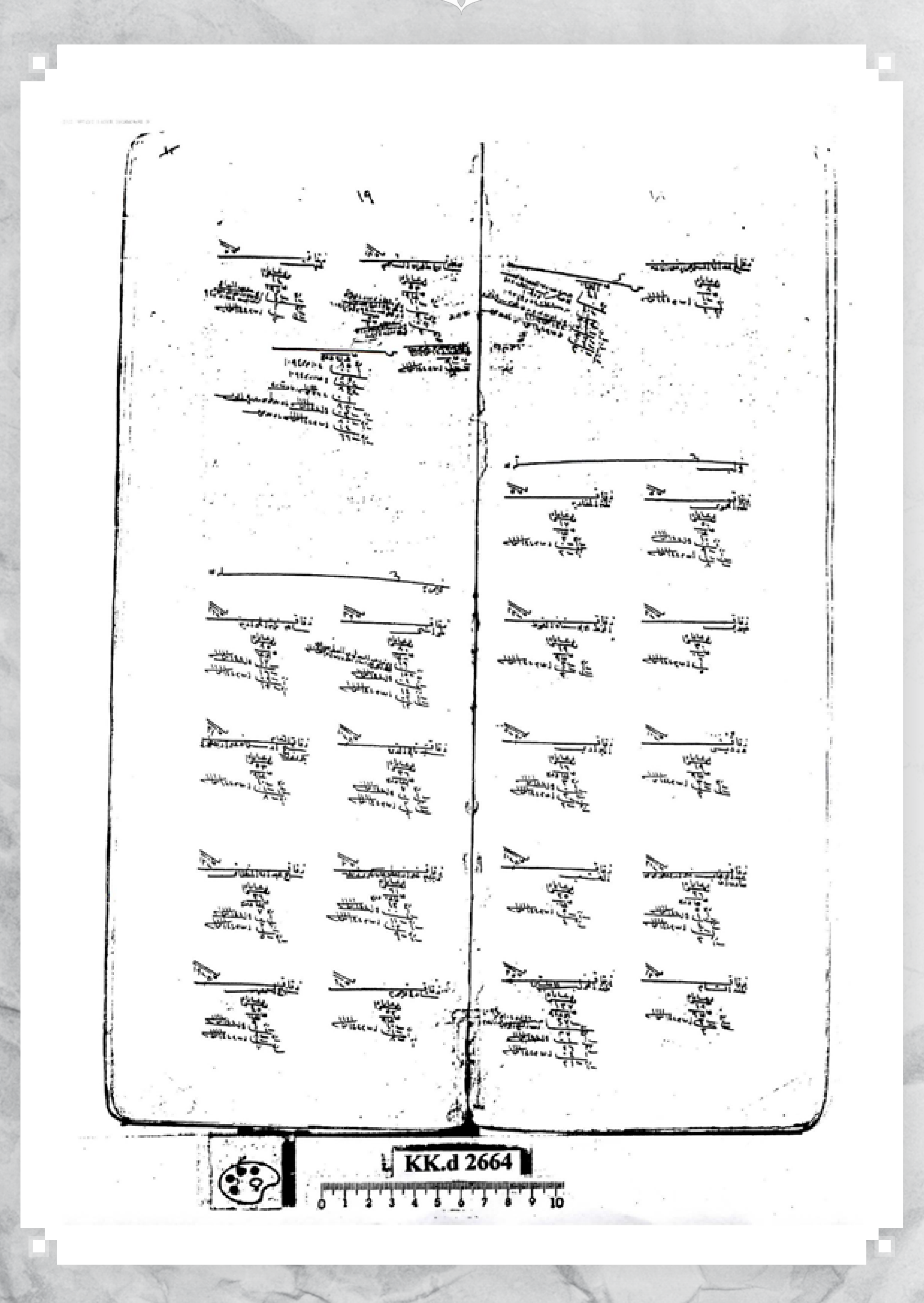
وثائق من دفتر "عوارض خانه الشام" عام 1086هـ/ 1675 - 1676م

0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10



- ٥ -


سطور
OSTOUR


١٩
١٨
KK.d 2664

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية

- صابان، سهيل. **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية.** الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000.

المراجع الأجنبية

- Bakhit, Muhammad Adnan. *The Ottoman Province of Damascus in The Sixteenth Century.* Beyrut: Librairie du Liban, 1982.
- Ozturk, Mustafa. "1616 Tarihli Halep Avariz-hane Defteri," Ankara universitesi, *Osmanli Tarihi Arastirma ve uygulama*, vol. 8 (1999).
- Öztürk, Mustafa. "1675 - 1676 (h.1086) Tarihli Şam Avarız-hane defteri," *Orta Dogu Arastirmalari dergisi*, vol. 2, no. 2 (2004).
- Zeki, Mehmet. *Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sozlugu*. Istanbul: MEB, 1993.